الجمع والتفرقة لعلا الدين أبي الحسن على بن علي إسماعيل القونوي الشافعي ٧٢٩هجريا

الباحثة/ صفاء أبو الحسن إسماعيل جاد

الملخص:

إن تراث الأمة الاسلامية وميراثها عظيم ملي بالنوادر، ومكتظ بالجواهر التي يعز وجودها عند غيرها ،وهذا كان نتيجة لتلك الجهود المتميزة ،والجبارة التي قام بها وبذلها العلماء والمحققون من سلف هذه الأمة ، فقد أفنوا أعمارهم ، وأمضوا كل أوقاتهم وصرفوا جميع اهتماماتهم من أجل ذلك ، تركوا الديار وشدوا الرحال، وقابوا الرجال ، وتكبدوا المشاق ، وقطعوا المسافات وسلكوا الأودية والشعاب، وتعرضوا للصعاب والمشاق والأخطار ، وسهروا الليالي وأحيوها ، وعمروا الأيام واستغلوها ، وبتوفيق من الله سبحانه وتعالي أدرك أبناء الأمة الإسلامية قيمة هذا التراث.

والتصوف الإسلامي جزء أساسي في التراث الإسلامي ، والأهتمام بالتصوف قديم تناوله المؤخون والعلماء العرب والمسلمون كالطوسي، والكلاباذي والقشيري والمحاسبي وغيرهم ،كما ألف فيه الفلاسفة كابن سينا، والكندي، وابن رشد ، والغزالي ، وابن خلدون ، وتجادل فيه الفقهاء ، وعلماء الكلام ،إضافة إلي جهود المستشرقين .

ولم يتفق هؤلاء علي رأي واحد سواء تعلق الأمر بحدوده أو أصوله فاختلفت الأراء والمشارب حوله.

والتصوف بشكل عام نزعة إنسانية ظهرت في كل الثقافات بصورة متفاوتة، وهي في جوهرها تعبير عن إشباع الجانب الروحي، والزهد في متع الحياة الفانية، والركون إلي قوة أعلي ، ورغبة في التعالي عن الشهوات المادية بغية الوصول إلي سلم الصفاء الروحي والارتقاء إلي السعادة.

وقد حفظ الله تراث الأمة بالمجددين الذين يحافظون علي هذا التراث، وسنة النبي صلي الله عليه وسلم رحمة بهذه الأمة إلي أن يرث الله الأرض ، ومن عليها ، وسخر العلماء الذين يبذلون كل ما بوسهم من جهد وقت، وقد كان لهؤلاء الجهابذة الفضل الكبير الوافر في مؤلفاتهم التي أفنوا من أجلها أعمارهم .

Summary:

The heritage and inheritance of the Islamic nation is great, full of anecdotes, and filled with jewels whose existence is dear to others. They left their homes and embarked on their journeys, met men, endured hardships, crossed distances, trekked through valleys and gorges, exposed themselves to hardships, hardships and dangers, stayed up at nights and revived them, lived and exploited the days, and with the help of God Almighty, the sons of the Islamic nation realized the value of this heritage.

Islamic Sufism is an essential part of the Islamic heritage, and the interest in Sufism is ancient. It was discussed by Arab and Muslim scholars and scholars such as al-Tusi, al-Kalabadi, al-Qushairi, al-Muhasibi, and others. Philosophers such as Ibn Sina, al-Kindi, Ibn Rushd, al-Ghazali, and Ibn Khaldun argued about it, in addition to the efforts made by jurists and scholars of speech. Orientalists.

They did not agree on a single opinion, whether it was related to its borders or origins, so opinions and approaches differed about it.

Sufism in general is a human tendency that appeared in all cultures in varying ways. In essence, it is an expression of satisfying the spiritual aspect, asceticism in the pleasures of mortal life, reliance on a higher power, and a desire to transcend material desires in order to reach the ladder of spiritual purity and rise to happiness.

And God has preserved the nation's heritage with the innovators who preserve this heritage, and the Sunnah of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, is a mercy to this nation until God inherits the earth and whoever is on it, and he mocked the scholars who make every effort they could of time, and these scholars had a great and abundant credit in their writings for which they spent their lives

الجمع والتفرقة :

ومن ألفاظهم أيضا الجمع والتفرقة ومرادهم بالجمع جمع الهمم بالله تعالي وبالتفرقة تفرقته في الكيانات والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالي، قال صاحب العوارف : "ومجموع الإشارات يعني إشاراتهم إلي الجمع والتفرقة، يبين أن الكون يفرق والمكون يجمع، فمن أراد([1]) إفراد المكون جمع، ومن أفرد([2]) المكون فرق، فإذا أثبتت طاعاته نظراُ إلي كسبه فرق، وإذا أثبتها بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو جمع([3]) الجمع، فالتفرقة عبودية والجمع توحيد، قال ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع، وقال الواسطي([4]) ": إذا نظرت إلي نفسك فرقت، وإذا نظرت إلي ربك جمعت، وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت فان فلا جمع ولا تفرقة".

وقال القشيري([5]) : " سمعت الأستاذ أبا علي يقول أنشد قوال بين يدي الأستاذ سهل الصعلوكي ([6]) رضي الله عنهم أجمعين، جعلت تتزهي نظراُ اليك"

وكان أبا القاسم أباذي([7]) حاضراً، فقال الأستاذ أبو سهل جعلت نصبه التاء فقال النصرأباذي بل جعلت بضم التاء ، قال الأستاذ أبو سهل أليس عينه الجمع أتم؟، فسكت النصر أباذي .

قال القشيري رحمة الله تعالي : " ومعني هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون مخبراً عن حال نفسه، وإذا قال جعلت بالفتح فكأنه يبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب

---

[1] : كلمة أراد في (ن،ف) موجودة في (ن،ح) و (ن،ص) وغير موجودة في (ن،ت)

[2] : ومن أفرد في (ن،ف) مكتوبة ومن نظر في (ن،ح) و(ن،ص) و (ن،ت)

[3] : كلمة جمع (ن،ف) موجودة في (ن،ح) و (ن،ص) وغير موجودة في (ن،ت)

[4] :الواسطي: أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وكان يُعرف بـ «ابن الفرغاني»، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه: «من علماء مشايخ القوم (الصوفية)، لم يتكلم أحد في التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالماً بالأصول، وعلوم الظاهر»ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص٢٣٢-٢٣٥.

[5] : القشيري: هوعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، الملقب ، كان إمامًا من أئمة الصوفية على مرّ القرون وكان المُقدّم في عصره على سائر شئوخ التصوّف، ولد في قرية "أسوا" من أعمال نيسابور في خراسان التي تقع إليوم ضمن أراضي جمهوريّة أيران ، وهو عربي الأصل وكانت ولادته – بحسب ما ذكر الخطيب البغدادي – سنة ٣٧٦هـ في شهر ربيع الأول. لُقّب بزين الإسلام له كتاب الرسالة في التصوف الذي كتبه لجماعة الصوفية في بلدان الإسلام وله التفسير الكبير من التفاسير المشهورة للقرآن الكريم. وفي "إنباه الرواة" للجمال القفطي يذكر أنّ نسبة القُشيري تعود إلى قُشتر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو جدّ لإحدى القبائل العربية وإلى هذه القبيلة يُنسب كثير من العلماء العرب كان يجمع بين علمي الشريعة والحقيقة، ويُقصد بعلم الحقيقة هو التصوّف والسلوك والسير إلى الله، بينما علم الشريعة يُعنى به الفقه والعقيدة ونحوها من علوم الشريعة المعروفة) ينظر:

_ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى دار الكتب العلمية ج٥، ط الأولى، دار الكتب العلمية _ القاهرة، ١٩٦٧ م. ص ١٥٣،

_شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون » القشيري ، مؤسسة الرسالة، القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج١٨، ص٢٢٧_٢٣٣.

[6] : سهل الصعلوكي :الإمام العلامة ذو الفنون أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفي العجلي الصعلوكي النيسابوري ، الفقيه الشافعي ، المتكلم ، النحوي ، المفسر ، اللغوي ، الصوفي ، شيخ خراسان .

قال الحاكم : هو حبر زمانه ، وبقية أقرانه ، ولد سنة ست وتسعين ومائتين وأول سماعه في سنة خمس وثلاثمائة واختلف إلى ابن خزيمة ، ثم اختلف إلى أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي ، وناظر وبرع ، ثم استدعي إلى أصبهان ، فلما بلغه نعي عمه أبي الطيب الصعلوكي ، خرج في الخفية حتى قدم نيسابور في سنة سبع وثلاثين ، ثم نقل أهله من أصبهان . أفتى ودرس بنيسابور نيفا وثلاثين سنة .) لمزيد من التفاصيل ينظر : ينظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء ، الطبقة العشرون » الصعلوكي ،ج١٦ ،ص٢٣٦

[7] : أبا القاسم أباذي :ابرهيم بن محمد النصر اباذى نسبة إلى نصر اباذ محلة من محال نيسابور أبو القاسم. شيخ نيسابور، والمحدث المؤرخ.صحب الشبلى، وأبا على الروذبارى، والمرتعش، وغيرهم. وهو استاذ أبى عبد الرحمن السلمى.مات بمكة – ودفن بقرب الفضيل – سنة سبع وستين وثلثمائة.) ينظر : ابن الملقن ،طبقات الأولياء ، تحقيق: نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م ، ص٢٦ .

مولاه، ويقول أنت الذي خصصتني بهذا إلا أنا بتكلفي، فالأول علي خط الدعوي، والثاني بوصف التبرؤ من الحول والإقرار بالفصل والطول وفرق بين من يقول بجهدي أعبدك وبين من يقول بفضلك ولطفك أشهدك ولا بد من الجمع والفرق، فإن من لا تفرقه له فلا عبودية له ومن لا جمع له المعرفة له فقوله أياك نعبد إشارة إلي الفرق وقوله إياك نستعين إشارة إلي الجمع، ويقولون فلان في عين الجمع يعنون إستيلاء مراقبة الحق علي باطنه، فإذا عاد إلي شئ من أعماله عاد إلي التفرقة بصحة الجمع بالتفرقة، وصحة التفرقة بالجمع.

قال صاحب العوارف([1]) : " وهذا يرجع حاصله إلي أن الجمع من العلم، والتفرق من العلم بأمر الله، ولابد منها جميعاً".

قال : " وقد غلط قوم وأدعو أنهم في عين الجمع، وأشاروا إلي صرف التوحيد، وغلطو الإكساب والأسباب، فتذندقو، والجمع حكم الروح والتفرقة حكم الغالب ومادام التركيب باقياً فلابد من الجمع والتفرقة.

قوله أول الجمع جمع الهمة:

وهو أن يكون الهموم كلها هماُ واحداُ ، وفي الحديث من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبث به الهموم لم ينال الله في أي أوديتها هلك أي أول درجات الجمع للسالك، أن لا يكون لهم هم الأهم التقرب إلي الله تعالي فإنه إذا كان كذلك تولي الله ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وكفاه أياه بمقتضي وعده الصادق عليه السلام.

وروي في بعض الأثار في مساجدهم والله في حوائجهم ويدل عليه أيضا قوله تعالي:" ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب" ومن يتوكل علي الله فهو حسبه"([2]) وأما من تفرقت همومه في طلب الدنيا وكله الله تعالي إلي نفسه ولم يبال بهلاكه في مهالكها ، أي لم يكن به عناية ولا كان له منه كفاية وإنما تصير الهموم هماً واحداً، إذا إمتلا الباطن بالمحبة وإشتغل الظاهر بالخدمة، فتنجسم بذلك مادة خبث النفس

---

[1] : صاحب العوارف هو الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام «وأحد الصوفية شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله – وهو عمويه – بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله ابن فقيه المدينة وابن فقيهها عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي . أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف في القرن السابع الهجري،صاحب كتاب «عوارف المعارف»،وصفه الذهبي بـ «الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية»، وقال عنه ابن النجار «كان شهاب الدين شئخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله، والتسليك».

_ لمزيد من التفاصيل، انظر:الذهبي، سير أعلام النبلاء،الطبقة الثالثة والثلاثون، الجزء ٢٢، ص٣٧٤.

[2] : سورة الطلاق – الآية ٣.

وهواها والشيطان ، فهو الذي عاداها فأزداها، وحب الدنيا وما ولاها فبهذا هي أعد الإنسان وقطاعى طريقه والله تعالي ولي توفيقه.

وهذه حال المجاهدة والرياضة:

أي السعي في جميع الهمم وجعل الهموم كلها هماً واحداً ،إنما يكون في ابتداء السلوك غالباً بطريق المجاهدة والرياضة وحمل النفس عليه بالتكلف، إلي ان يتمرن([1])عليه ، فحينئذ لايحتاج فيه إلي تكلف وإليه الأشارة بقوله والجمع الذي يغيبه أهله ،هوان يصيرذلک حالاً له ، وهوان لا يتفرق همومه، فيجمعهما تكلف العبد بجمع الهموم، فتصيربشهود الجامع لها هماً واحدً، ويحصل([2]) الجمع إذا كان بالله وحده دون غيره، وكان (المصنف)([3]) أراد الحال في قوله:_" يصيرذلك حالاً مالأيكون مجلوباً بالتكلف من أوصاف العبد كالأخلاق التي طبع عليها،لا كما يتطبع ويتخلق به بالتكليف([4]) واعتبرفيه أيضا الرسوخ وعدم الزوال على خلاف المصطلح في الحال، حيث قال وهوان لأيتفرق([5]) همومه وقوله فيجمعهما منصوب لكونه جواب النفي قبله اى لايزول الجمع المذكور فيحتاج([6]) إلي([7]) تكلف العبد في إعادته يعني بخلاف الجمع ".

لوحة ١٦٧

المطلوب بالمجاهدة والتكلف كما في أول مراتب الجمع، على ما مر فإن المجاهد فيه يحارب النفس والشئطان وغيرهما من الأعداء والحرب سجال، فقد يغلب العدو، وكذلك فضل بعضهم التأيب الذي ماتت شهواته على المجاهد لشهواته ، كما مرفيما تقدم، ومني قوله بشهود الجامع لها إلي اخره ،إنه إذا على عليه شهود الجامع، وهوالله تعالي زالت عنه التفرقة، وإقتضت وحدة المشهود اتحاد الهمم ويحصل الجمع ويستمرمادام متلبسا بشهوده([8]) يقال وحده دون شهود غيره.([9])

---

[1] : كلمة يتمرن في (ن،ف) مذكورة تتمرن في (ن،ص) و(ن،ت) و(ن،ح)

[2] : كلمة يحصل في (ن،ف) مكتوبة تحصل في (ن،ص) و(ن،ت) و(ن،ح)

[3] : المصنف: بن عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستى الإمام العلم ، سيد الحفاظ ، وصاحب الكتب الكبار " المسند " و " المصنف " ، " والتفسير " ، أبو بكر العبسي مولاهم الكوفي ، أحد علماء ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة ومن أعلام المحدثين. نشأ في بيت علم فطلب العلم وهو صبي، ونشأ هو وأخواه (الحافظ عثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن أبي شيبة) على طلب الحديث وروايته. وكذلك كان ولده الحافظ إبراهيم بن أبي بكر، وابن أخيه الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان. وكان أبو بكر هو أشهر أهل بيته وأوسعهم علمًا، وكان مضرب الأمثال في قوة الحفظ وسعته)

_ لمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣،الطبقة ٢٤، ص١٢٤-١٢٧.

[4] : كلمة التكليف في (ن،ف) مكتوبة التكلف في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[5] : كلمة يتفرق في (ن،ف) مكتوبة تتفرق في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[6] : كلمة يحتاج في (ن،ف) مكتوبة محتاج في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[7] : كلمة إلي في (ن،ف) غير موجودة في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[8] : كلمة تعالي غير موجودة في (ن،ف) ولكنها موجودة في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[9] : كلمة غيره في (ن،ف) مكتوبة غيرهم في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

قوله : "والتفرقة التي هي عقيب الجمع":-

هوان يفرق بين العبد وبين همومه في حظوطه، ومن طلب مرافقتـه ومـلاذه فيكـون مفرقا بينه وبين نفسه فلا يكون ([1]) حركاته لها أى التفرق في إصطلاح القوم، قد يـراد بها ما يكون منها بعد الجمع وقد يراد بها ما لا يكون كذلك.

أما التفرقة التي هي بعدالجمع فقد فسرها(المصنف)

بتفرقه الله تعالي بين العبد وبين همومه في حظوظه ، لغلبة شهود الحق عليه ، وبينـه وبين طلب ما يرتق به من أسباب الدنيا بل بينه وبين كلما سوى الله تعالي،حتى نفسه ([2]) بعدم ملاحظته لذلك ، وهذا من لوازم الجمع.

ويجوز([3]) ان يريد بالنفس مبدا الشهوات لاحقيقة الإنسان ،وهوالمناسب للحظوظ والملاذ على كل تقدير، إذا حصلت التفرقة بينه وبين النفس ، لم تكن حركاته للنفس بل لله تعالي وكيف يكون لها ولا نفس له لأنه أماتها بالمجاهدات، وباعها من الله تعالي، بمـا أعدلـه في الجنات ([4]).قال الله تعالى :_ "إن الله إشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهـم الجنة ([5])"

و(القشيري[6]) رحمه الله بعد ذكره التفرقة والجمع وجمع الجمع وتفسيره التفرقة بـشهود الاغيارالله وجمع الجمع([7]) بالإستهلاك بالكليه. وفناء الإحـساس. بمـا سـوا عنـد غالبات الحقيقه.

قال وبعدهذا ؛حالة عزيزة تسميها القوم الفرق الثانى، وهوان يرد إلـي الـصحو عنـد أوقات آداء الفرائض ليجري عليه القيام بالفرائض فى أوقاتها، فيكون رجوعاً بـالله لله، لا بالعبد للعبد يطالع نفسه، في هذه الحالة في تصريف الحق و قد يمكـن حمـل قـول (المصنف [8]) رحمه الله فلا يكون حركاته لها على ذلك.

قوله وقد يكون المجموع:_

أى من هوفي مقام الجمع ناظراً إلي حظوظه في بعض الأحوال، غيران ممنوع منهـا قدحيل بينه وبينها، لأيتأتى له منها شئ وهوغير كاه لذلك، بل مريد له أي للمنـع لعلمـه

---

[1] : كلمة لذلك غير موجودة في (ن،هـ) ولكنها موجودة في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[2] : كلمة معني غير موجودة في (ن،هـ) ولكنها موجودة في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[3] : كلمة تجوز في (ن،هـ) مكتوبة تجوز في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[4] : جملة عائداً له في الجنات غير موجودة في (ن،هـ) ولا في (ن،ت) ولا (ن،ص) لكنها غيرموجودة في (ن،ح) فقط.

[5] : سورة التوبة الأية ١١١.

[6] : إسم علم سبق الإشارة إليه.

[7] : كلمة جمع الجمع غير موجودة في (ن،هـ) ولكنها موجودة في (ن،ح) و(ن،ت) و(ن،ص)

[8] : إسم علم سبق الأشارة إليه.

بأن فعل الحق به وباختصاصه له وجذبه أياه مما دونه، يرىد أنه ليس من لوزم الجمع.

لأن لا يبقي لصاحبه إلتفات إلي شئ من حظوظه أصلاً، بل قد يجوز ان يلتفت إلي شئ منها في بعض الأحيان، مع كونه ممنوعاً منه، فيحصل له بذلك إستحقاق المدح، إذ فاقد اللذة والميل إلي الشهوات بالكليه لا يُمدح بتركها، وهوأحد ما فضل به البشر على الملك ،ثم إنه إذا مال إلي شئ من حظوظه وحيل بينه وبين ذلك الحظ لم يكره الحيلولة لها، يسربها لعلمه بعناية الله تعالى به في جدبه له اليه مماسواه، لغيرته عليه فان الله غيور ومن غيرته حرم الفواحش كما ورد في الحديث. قوله سئل بعض الكبار عن الجمع ما هو:_

فقال جمع الاسرار بأن ليس منه بد، و قهرها فيه، إذلا شبه ولا ضد ،أى من علم أنه لا بد له في جميع أموره الدينية و الدنيوية، وفي معاده ومعاشه من الله تعالي، وإن الخالق الرازق([1])الضار النافع المعطى المانع الى غير ذلک من صفات كماله ونعوت جلاله وجماله وجزيل بره وافضاله جمع سره به عن كل شئ سواء في جميع أحواله.([2])

إذا علم ان لا شبه له ليسد مسده ولا ضد فيصده عما يريد ان يولي عبده قهر سره علي الجمع عليه والالتجاء دأيما اليه .

قوله و قال حين غيرهم به حين وصلهم بالقصور عنه وفرقتهم عنه حين طلبوه بما منهم:_

أى جمع الله تعالى أوليائه به حين وصلهم لسبب معرفتهم واعترافهم بالقصور عن الوصول إليه من حيث هم وما منهم من العلوم والاعمال والمقامات والاحوال فلما تجردوا عن جميع ذلك واتوه بقلب سليم وشاهدو في كل شئ امره الحكيم من عليهم الرب الرحيم فجمعهم ووصل سببهم و فرقهم عنه حين طلبوه بما منه م من الفكر والعمل وكلما الوقوف معه في الطريق من العلل

قوله فسخ التشتيت لا إرتياده بالأسباب:_

وحصل الجمع حين شاهده في كل باب اى فطهر التفرقة لأجل طلبه بالأسباب فمن تطرا إلي الاسباب وطلب الوصول الى المسبب جهتها كان حظه التفرقة ومن نظرإلي المسبب في كل سبب وشاهده فيه وعلم السبب به فهو الفأي زبمقام الجمع وقد تقدم أن

[1] : كلمة الرازاق موجودة في (ن،ف) و(ن،ص)و(ن،ح) وغير موجودة في (ن،ت).

[2] : جملة في جميع أحواله موج ودة في (ن،ف) وغير موجودة في (ن،ص) (ن،ح)(ن،ت).

الانتقال من الاسباب الى المسبب في باب المعرف رتبه نازلة ويسمي ب عضهم العلم الحاصل به معرفة التعريف([1]) وتبين ان الثاني اتم من من الاول واقوي واولى منه وأعلى وأنه أشار إليهما بقوله تعالى:_

" سنريهم أياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه علي كل شى شهيد[2]" قوله التفرقة التي عبر عنها التي هي التي قبل الجمع :

قال المصنف: لوحة ١٦٨

معناه أن التقرب بالأعمال تفرقة، وأشادوه مقرباً بالهمم فهو الجمع، أي التفرقة المشار إليها بقول القائل، وفرق عنهم حين طالبوه بما منهم هي التي قبل الجمع، وأما التي بعد الجمع فقد تقدم ذكرها، ثم شرح المصنف كلام القائل المذكور؛ بأن طلب القرب من الأعمال تفرقة، وإذا شاهدو الحق تعالي هو المقرب لهم لا غيره، فقد فاز بالجمع، ولا بد من الأعمال، ومن رؤية الحق مقرباُ فلابد من الجمع والتفرقة حذار عن التعطيل والزندقة.

قوله أنشدونا لبعض الكبار: الجمع أفقدهم من حيث هم قدماُ والفرق أوحدهم حيناُ بلا آثر

أي أذ نظر إلي الأول فقدو أنفسهم، من حيث هم فهذا من الجمع، وإذا نظروا إلي وجودهم فما لا يزال، وأثبتو لأنفسهم الوجود وما يتبعه من الصفات والأحكام حيناً، فهذا من الفرق، وقوله بلا آثر، والحال أنهم والحال أنهم لا أثر لوجودهم إذ لا مؤثر إلا الله تعالي وسيأتي شرح المصنف لهذا البيت وما بعده.

قوله فأتت نفوسهم والفوت فقدهم في شاهد جمعوا فيه عن البشر:

أي فأتهم نفوسهم بمعني الفناء عنهما وعن أوصافها، وهذا القوت هو فقدهم لأنفسهم ونظرهم إلي ربهم، فزالت عنهم تفرقة الكثرة، وغلبت علهم وحدة الجمع فهم في شاهده.

قوله وجمعهم عن نعوت الرسم محوها عما يؤثره التلوين بالغير:

أي وجمعهم بالوحدة عن نعوت رسم الكثرة هو محوهم، وفناهم عما يقتضيه التلوين ملتبساً بالتغيرات فإنه من لوازم الخليقة وهو التفرقة، وقد شرح المصنف التلوين بوجه أخر علي ما سيأتي

[1] : جملة وعكسه معرفة التعرف غير موجودة في (ن،ف) لكنها موجودة في (ن،ص) و(ن،ح) و (ن،ت)

[2] : سورة فصلت الأية ١٥٣.

قوله والحال حين تلاشت في قديمهم عن شاهد الجمع إضمار بلا صور:
أي هذا الحين الذي هو حين التفرقة حال لأهل التلوين شأنها أن تتلاشي في نظر أهل التمكين إلي القديم، صادرين عن شاهد الجمع وغلبة حكمه، وهم إذ ذاك إضماراً و ، والجمع إضماراً راي شئ مضمر لا صور لهم حينئذ يعني بالتشبه التي وجودهم في العلم القديم، وإتما صادروا ذوي صور بعد البروز من العلم إلي العين.
قوله حتي توافي لهم في الفرق ما عطفت علهم منه حين الوقت في الحضر:
كلمة حتي غاية للحين وفيها معني السببية، ومعني قوله توافي لهم تكامل لهم من قولهم، توافي القوم أي تناموا ويقال عطف عليه أي كر ورجع اليه،والضمير في قوله عطفت لم يتقدمه شي يصلح عوده عليه، من حيث المعني إلا لفظه ما واتت الضمير لإنه عائد علي أشياء كثيرة من(_[1]) المعني، وقوله في الحضر ظرف لقوله عطفت، كأنه قال وإنما كان لهم حين التفرقة حتي تكامل لهم في حال حضورهم في حال الفرق الأشياء التي عطفت عليهم من القديم، وصارت لهم منه في حال حضورهم في علمه، وقوله حين الوقت طرف لقوله عطفت أي في حين وقت جمعهم في حضرة العلم، ولولا الفصل لجاز جعله طرفاً للفرق، والوقت معناه عند القوم وهو ما أنت فيه، وهذه كلهما تكلفات الجأت الضرورة في حل لفظ الناظم، وهو نظم غير خال من الركاكة ، وقد مر أن مقصد القوم النظر إلي المعني، ولا الإلتفات لهم إلي الألفاظ، ومعني البيت أن الحكمة في إبرازهم من العلم إلي العين ومن الجمع إلي الفرق أن يوفي لهم علي التمام والكمال ما قد سبق العلم محصوله لهم ويخرج ما في القوة من الكمالات إلي الفعل وبه تحقق العبودية والربوبية ومقتضيات الصفات والأسماء الألهية إذ المعبودية يستدعي عابداً ، والخالق يستلزم مخلوقاً إلي غير ذلك من الأسماء والصفات، وقد قيل لبعض المحققين من أين إلي أين؟ وما الحاصل في البين، فقال: من العلم إلي العين والحاصل في البين[2]، تحقيق نسبة جامعة بين الطرفين.
قوله فالجمع غيبتهم والفرق حضرتهم والوجد والفقد في هذين بالنظر:
أي فالجمع غيبتهم عن أنفسهم وعن سائر الأكوان، والفرق حضرتهم لأنفسهم ولغيرها من الأكوان، والوجد والفقد في هذين الحالين إنما هما بنظرهم إلي الحق والخلق وإشتغال

[1] : كلمة حيث بعد حرف الجر (من) موجودة في (ن،ت) و(ن،ح) و(ن،ص) وغير موجودة في (ن،ف)
[2] : جملة وما الحاصل في البين في (ن،ف) وفي (ن،ح) و(ن،ت) غير موجودة في (ن،ص)

سرهم بهما، فإذا قطعوا النظر إلي الخلق ونظروا إلي الحق وأشتغل سرهم به فهم في الجمع، وإن كانوا بالعكس فهم في الفرق، ثم شرح المصنف الأبيات المذكورة بقوله:

معني قوله والجمع أفقدهم من حيث هم أن علهم بوجودهم للحق في علمه بهم أفقدهم في الحين الذي صاروا موجودين لهم، فجعل الجمع حالة العدم، وحيث لم يكن إلا علم الحق بهم والفرق حالة ما أخرجهم من العدم إلي الوجود، أي نظرهم إلي الحالتين وإستيلاء حكمهما عليهم لا نفس الحالتين، فإن الجمع والفرق المصطلح عليهما عند القوم ليسا عبارة. لوحة ١٦٩

عن الحالتين أنفسهما وإن صدق عليهما أيضا قوله: فأتت نفوسهم أي رأوها حين الوجود كما كانوا إذ هم فقود لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا بتغيير علم الله فيهم، هذا شرح المصنف ومعناه الفناء والتبرؤ عن رؤية الحول والقوة لأنفسهم، وإنما يصدر عنهم بعدم الوجود، إنما هو بحسب علم الله(–)[1] فهم قبله لا لا تتغير العلم فهم لإستحالة تغير العلم القديم ، بمعني عدم وقوع معلوم([2])، وقوله فقود كأنه جمع فقد بمعني المفقود كالضرب بمعني المضروب .

قوله وجمعهم: أي وجمعهم هو أن يمحوهم عن نعوت الرسم وهي أفعالهم وأوصافهم في أنها لا تؤثر إثر تلوين وتغيير بل تكون علي ما علم الله، وقد رو حكم وتلاشت يعني نعوت الرسم المذكور حالاً وجودهم في قديم العلم، أي الرسوم الغيبية مثلاً تشبيه في العلم.

قوله: إذا كانوا مغلوبين لا موجودين وصورين هو شرح قول الناظم إضماراً بلا صور وهو واضح.

قوله : فإذا أوجدهم أري عليهم ما سبق لهم منه هذا شرح قوله حتي توافي لهم إلي أخره.

قوله: فالجمع أن يغيبوا عن حضورهم وشهودهم أياهم متصرفين والفرق أن يشهدوا أفعالهم وأحوالهم، والوجد والفقد حالتان متغايرتان لهم لا للحق إلي لإستحالة تجدد الأحوال في ذاته تعالي. قوله: ومنها التجلي والإستتار: أي ومن ألفاظهم التجلي والإستتار([3])، قال الغزالي([1]) رحمة الله تعالي: " التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإن كانت موصول له وموصوفه، فهو تفسير للتجلي".

---

[1] : كلمة تعالي غير موجودة في (ن،ف) لكنها موجودة في (ن،ح) و(ن،ص) و(ن،ت)

[2] : كلمة معلوم في (ن،ف) مكتوبة معلومة في (ن،ح) و(ن،ص) و(ن،ت)

[3] : جملة ومن ألفاظم التجلي والإستتار في (ن،ف) موجودة في (ن،ح) و(ن،ص) وغير موجودة في (ن،ت).

قال :" وللخواص رحمة من الله إذ لو لا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم بـه لتلاشـوا عنـد سلطان الحقيقة، ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم.

قال : " سمعت منصور المغربي([2]) يقول : وافي بعض الفقير أحياء من أحياء العـرب، فإضافة شاب فبينا الشاب في خدمة هذا الفقير إذ غُشي عليه، فسأل الفقير عن حاله فقـالو له بنت عم وقد علقها فمشت في خيمتها فرأي الشاب غبار ذيلها فُغـشي عليـه فمـضي الفقير غلي باب الخيمة وقال:

" إن للغريب فيكم حرمةً وذماماً وقد جئت مستشفعاً إليك في أمر هذا الشاب فتعطفي عليه فيما به من هواك، فقال المراة أنت سليم القلب، إنه لا يطيق شهود غبار ذيلـي فيكيـف يطيق صحبتي!".

وقال صاحب العوارف: " والحق تعالي أبقي علي الخواص موضع الإستتار رحمة منـه لهم ولغيرهم أما لهم فلأنهم يرجعون بذلك إلي مصالح النفوس،وإما لغيرهم فلأنـه لـولا مواضع الإستتار لم ينتفع بهم لإستغراقهم في جمع الجمع وبرورهم لله الواحد القهار".

وقال القشيري في قوله عليه السلام: " إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة والإسـتغفار طلب السر فكأنه أخبر أنه بطلب الستر علي قلبه عند سطوات الحقيقة، إذ الخلق لأبقـاء لهم مع وجود الحق، وفي الخبر لو كشف عن وجهه لأُحرقت سحات وجهـه مـا أدرك بصره".

قوله قال سهل : " التجلي علي ثلاثة أحوال تجلي الذات وهي المكاشفة وتجلـي صـفات الذات وهي مواضع النور، وتجلي حكم الذات وهي الأخرة وما فيها".

لم يرد سهل ولا غيره بالمكاشفة والمشاهدة ونحو ذلك من الألفاظ معاينة الـذات حقيقـة لأن ذلك لا يقع في الدنيا ولا في الأخرة علي الوجه المعهود بل علي وجه أخر لا يحـيط به التعريف من غي تعطيل ولا تكييف، إنما أراد به نحو ما أشار إليـه المـصنف فـي تفسيره بقوله : " معني قوله تجلي الذات وهي المكاشفة كشوف الغلبة في الدنيا، أي غلبة

---

[1] : الغزالي: ابُو حَامِدْ مُحَمَد الغَزَالِي الطُوسِيْ النَيْسَابُوْرِيْ الصُوفِيْ الشَافْعِي الأَشْعَرِيْ، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨م – ١١١١م). كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقة، شافعيّ الفقه إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثله.، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُـرف كأحـد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، (وكانوا الباقلاني والجويني والغزّالي). لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقـب «حجّـة الإسلام»، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة.) ينظر: صالح أحمد الشامي، الإمـام الغزالـي حجـة الإسلام ومجدد المئة الخامسة،ط١، دار القلم،دمشق، ١٩٩٣م،ص٧،١١،٢٠.

[2] : منصور المغربي: أبو العباس أحمد المنصور بالله بن محمد الشيخ المهدي، "أمير المؤمنين" و"خليفة المسلمين" سابع سلاطين المغرب من الأشراف الـسعديين وواسِـطَةُ عقـدهم، وأحـد سلاطين المغرب العظام، بويع في ساحة معركة وادي المخازن الظافرة يوم الاثنين متم جمادى الأولى بعد وفاة أخيه السلطان عبد الملك الأول، عُرفَ المنصور بحبه للعلم ورعايتـه للعلمـاء فلقب بـ عالم الخلفاء وخليفةُ العلماء، عرفه الغرب بالمتصوف صاحب المعرفة العميقة بعلوم الدين الإسلامي المحب للكتب، والخط، والرياضيات، العاشق للمناقشات العلمية وراعيـاً للعلـوم والفنون) لمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد بن خالد الناصري ،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب – الدار البيضاء ،١٩٥٤م،ج.٥، ص٨٩.

شي من صفات الجلال أو الجمال، و فإن من غلب علي قلبه أمراً ما وكثر تصوره له وإحضاره في الذهن وإخطاره بالبال يصير كالمشاهدة له وكأنه بين يديه ونصب عينه وهذا أمراً واقع جلي لا يمكن إنكاره إليه، والإشارة بقوله ﷺ في تفسير الإحسان أن يعبد الله كأنك تراه.

قوله كما قال عبد الله بن عمر([1]) : " كنا نترأي الله في ذلك المكان، قال المصنف يعني في الطواف أي لما أشتغل سره بالحضرة الألهية، وتبعته الحواس لم يسمع سلام من سلم عليه حينئذ فلم يرد الجواب، فلم عوتب في ذلك إعتذر بما ذكر".

قوله وهو قوله عليه السلام كأنك تراه قبل هذا يقتضي الإجلال والتعظيم، وقوله ﷺ بعد ذلك فإنه يراك تقتضي الحياة والأدب والظاهر أن كل واحدة من الحالتين تقتضي الإجلال والتعظيم والحياة والأدب، وقد يكون مراد هذا القائل أن الغالب في الحالة الأولي ذلك.

[1] : عبد الله إبن عمر : محدث وفقيه وصحابي من صغار الصحابة، وابن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأحد المكثرين في الفتوى، وكذلك هو من المكثرين في رواية الحديث النبوي عن النبي محمد. كان ابن عمر من أكثر الناس اقتداءً بسيرة النبي محمد، ومن أكثرهم تتبّعًا لآثاره. كما كان قبلة لطُلاّب الحديث والفتاوى في المدينة المنورة، وطلاّب العطايا لما عُرف عنه من سخائه في الصدقات، والزهد في الدنيا.شهد ابن عمر عدداً من المشاهد مع النبي محمد، ثم شارك بعد وفاة النبي في فتوح الشام والعراق وفارس ومصر وإفريقية. ولما قامت الفتن بعد مقتل عثمان بن عفان، وبعد وفاة يزيد بن معاوية، آثر ابن عمر اعتزال الفتن. كان ابن عمر دائما محل احترام وثقة المسلمين، فحاول عثمان بن عفان توليته القضاء، وعرض عليه علي بن أبي طالب ولأية الشام، ورشحه أبو موسى الأشعري للخلافة يوم التحكيم بين جيشي علي ومعاوية، إلا أنه اعتذر عن ذلك كله، وحرص على عدم الانخراط في أمور الحكم تجنبًا منه للخوض في دماء المسلمين.

_ لمزيد من التفاصيل انظر : باقر شريف القرشي، عبد الله بن عمر ومكوناته الدينية والسياسية، ط٢،دار الماهر مؤسسة الإمام حسن، النجف، ٢٠١٥م، ص١٧– ٣٠.

الخاتمة:

وبها اهم النتائج التي توصل اليها البحث

الحمد لله رب العالمين الذي قدر لنا التوفيق **الفهارس** والنجاح في كتابة هذا البحث واتمني من ا لله عز وجل ان اكون قد وفقت فيه ، وقد كان هذا البحث بمثابة الرحلة العلمية الممتعة للارتقاء بموضوع البحث بمخطوط "حسن التصرف في شرح كتاب لمذهب أهل التصوف"

أولاً: علاء الدين أبي الحسن جمع علوم الأوائل من فقه وأصوله ،وحديث وعلومه، وتفسير وعلومه ،واللغة العربية ومشتقاتها، فهو لم يكن متصوفاً فحسب بل شغل عدده مناصب منها قاضي القضاة في العصر الذي عاش فيه.

ثانياً :من أهم ما ألف في كتب التصوف " كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف" لأبي بكر الكلاباذي ، وهو كتاب ماتع جمع علوم التصوف ، والعقيدة ، والفقه ، ومسائل أصول الفقه.

ثالثاً : امتاز كتاب حسن التصرف بكثرة التراجم للأعلام .

رابعاً : ذكر القونوي قاعدة مهمة عند اهل السنة وهي (خلق افعال العباد) وان الله مستحق للمحامد كلها

خامساً : ذكر القونوي أن التصوف ايجابي وعملي وليس سلبيا ولا نظريا إنه عملية حيوية عضوية باعتباره أمراً تقوم به الذات بكامل قواها وملكاتها ، لامجرد أمراً تناله او تحصل عليه بمالها من قوة عقلية فحسب .

المصادر والمراجع:

١. السلمي، طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص٢٣٢-٢٣٥.

٢. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى دار الكتب العلمية ج٥، ط الأولى، دار الكتب العلمية _ القاهرة، ١٩٦٧ م. ص ١٥٣،

٣. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَأيماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون » القشيري ، مؤسسة الرسالة، القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج١٨، ص٢٢٧_٢٣٣.

٤. ابن الملقن ،طبقات الأولياء ، تحقيق: نور الدين شريبه ، مكتبة الخانجي، بالقاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م ، ص٢٦ .

٥. صالح أحمد الشامى، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة،ط١، دار القلم،دمشق، ١٩٩٣م،ص٧،١١،٢٠.

٦. أحمد بن خالد الناصري ،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب – الدار البيضاء ،١٩٥٤م،ج.٥، ص٨٩.

٧. باقر شريف القرشي، عبد الله بن عمر ومكوناته الدينية والسياسية، ط٢،دار الماهر مؤسسة الإمام حسن، النجف، ٢٠١٥م، ص١٧- ٣٠.

٨. السلوك لمعرفة دول الملوك ـــ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)

٩. الوفيات ــ المؤلف: تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

١٠. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـــ المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، بن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)

١١. المعجم المختص بالمحدثين لابن قَايْماز الذهبي ـــ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) م

١٢. معجم المحدثين الذهبي ـــ المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ) ـــ

١٣. طبقات الشافعية الكبرى ـــ المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) ــ

١٤. طبقات الشافعية ا لمؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢ هـ) ـــ
١٥. طبقات الشافعية الكبرى :الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي
١٦. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ تأليف: أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي
١٧. مرآة الجنا ن وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ـــ المؤلف: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)
١٨. الدارس في تاريخ المدارس المؤلف: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: ٩٢٧هـ) ـ
١٩. المجمع المؤسس لابن حجر العسقلاني للمعجم المفهرس ـــ مشيخة: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بـ «بن حجر العسقلاني» (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)
٢٠. تاريخ بن الوردي تاريخ بن الوردي (المتوفى: ٧٤٩هـ)
٢١. طبقات المفسرين للداوودي ـ المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) ـ